سلسلة الفوائد الإيمانيّة من السور القرآنية (٣)

الإكليل

في فوائد سورة إبراهيم الخليل

تأليف:
أ. د. طارق بن سعيد بن عبد الله القحطاني

تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

المقدِّمة

إنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أمَّا بعد: فهذا كتاب ضمن سلسلة الفوائد الإيمانية من السور القرآنية، سميته: «**الإكليل في فوائد سورة إبراهيم الخليل**»، ويأتي هذا الكتاب في ترتيبه الزمني الثالث بعد سورة يوسف، والرعد، راجيا من الله صَوَابَ

القَوْلِ، وصَالِحَ الأَعْمَالِ، وأن يجعل عملي فيما تكلَّفتُهُ من ذلك ابتغاء وجهِهِ، وإيثار رضاه ومحبته؛ لينفع به ويكون سعي عنده مشكورا، وثوابي موفورا، وذنبي مغفورا، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

فصل في التَّعريف بـ: «سورة إبراهيم» وموضوعاتها

سورة إبراهيم مكيَّة، آياتها: ثنتان وخمسون، وسمِّيت سورة إبراهيم؛ لاشتمالها قصَّة إبراهيم مع ابنه إسماعيل وإسكانه في مكة بوادٍ غير زرع، ولشكره على نعمة الذرية.

واشتملت على موضوعات، وهي على النحو الآتي:

أوَّلا: افتتحت السورة بذكر الحكمة من إرسال الرسول ﷺ، وهي في إخراجهم من الظلمات إلى النور، وأنَّ الكفار لهم عذاب عظيم، ووصف حالهم مع الدنيا وأنَّهم يستحبونها على الآخرة.

ثانيا: بيَّنت أنَّ من إقامة الحجَّة أنَّ الله أرسل الرسل بلسان قومهم، وأنَّ الهداية بيد الله سبحانه.

ثالثا: ذكر الله فيها إرسال موسى -عليه السلام- إلى قومه، وأنَّه ذكَّرهم بآيات الله، ونعمه عليهم، وأنَّ من شَكَر النِّعم زاده الله من فضله، ومن كفر فله عذاب شديد.

رابعا: ضرب الله فيها مثلا برسالة موسى -عليه السلام- وموعظته لبني إسرائيل بما حلَّ بقوم نوح وعاد وثمود، وما لاقوا في سبيل الدعوة إلى الله من أقوامهم.

خامسا: ضرب مثلا في حال الكفار وأعمالهم، وأنَّها كالرماد تذروها الرياح.

سادسا: في مواضع من السورة يذكِّر الله بتوحيد الربوبية والألوهية.

سابعا: تضمنت السورة تخاصم المستكبرين والضعفاء الكفار يوم القيامة، وكيف الشيطان تخلَّى عن أتباعه، وفي المقابل ذكر حال المؤمنين في الجنة.

ثامنا: ضرب في السورة مثلا لكلمة الإيمان وكلمة الكفر بالشجرة الطيِّبة والخبيثة.

تاسعا: في ختام السورة يذكر حال الظالمين، وأنَّ الله ليس بغافل عن ظلمهم، وأنَّهم سيلقون الجزاء يوم القيامة، وهذا فيه نذارة وبلاغ للناس حتى يرجع إلى الحق ويؤمنوا بالله الواحد القهار.

فصل فيما ورد في فضل «سورة إبراهيم»

لم يرد في فضلها شيء مخصوص بها، وإنَّما ورد مشتركة مع سور أخرى التي فتحت بـ**ئي الر ئى** و**ئي حم ئى** والمُسَبِّحات، وسورة الزلزلة كما في حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: أَقْرِئْنِي يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: «**اقْرَأْ ثَلَاثًا مِنْ ذَوَاتِ الر**»، فَقَالَ: كَبُرَتْ سِنِّي، وَاشْتَدَّ قَلْبِي، وَغَلُظَ لِسَانِي، قَالَ: «**فَاقْرَأْ ثَلَاثًا مِنْ ذَوَاتِ حاميم**»، فَقَالَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ، فَقَالَ: «**اقْرَأْ ثَلَاثًا مِنَ الْمُسَبِّحَاتِ**»، فَقَالَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ.

فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَقْرِئْنِي سُورَةً جَامِعَةً، فَأَقْرَأَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ؛ حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا، فَقَالَ الرَّجُلُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَا أَزِيدُ عَلَيْهَا أَبَدًا، ثُمَّ أَدْبَرَ الرَّجُلُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَفْلَحَ الرُّوَيْجِلُ** -مَرَّتَيْنِ»[1].

---

(١) رواه أبو داود (١٣٩٩)، والبزار في مسنده (٢٤٥٩)، والنسائي في الكبرى (١٠٤٨٤)، وابن حبان في صحيحه (٤٣٥٥)، والحاكم في المستدرك (٣٩٦٤) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، وتعقَّبه الذهبي فقال: «بل صحيح».

وأمَّا ما انفردت به هذه السورة: فبذكر أنَّ إبراهيم -عليه السلام- أسكن أهله مكة بواد غير ذي زرع، وأنَّ إبليس خطب بأهل النار.

فصل في ذكر فوائد «سورة إبراهيم»

❖ أوَّلا:

الفوائد من قوله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ ٢ ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ٣﴾

فيها: إثبات صفة العلو لله -تعالى- في قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ﴾.

وفيها: أنَّ كتاب الله نور وهداية، يُخرِج من الظُّلمات إلى النُّور والصِّراط المستقيم.

وفيها: أنَّ الله بعث نبيه ﷺ؛ ليخرج الناس من الظُّلمات إلى الهدى والرشاد، وهذا جاء في آيات أخرى، منها: قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ ﴿يَعۡلَمُ

وفيها: في قوله تعالى: ﴿ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ ﴾ أنَّ الله هو الهادي، والعبد هو المهتدي، وأنَّ النَّبيَّ ﷺ عليه فقط هداية الإرشاد والتعليم بتبليغ رسالة اللهِ الَّتِي أَمَرَه بِهَا.

وفيها: في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ ﴾، قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر ﴿ **الله** ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ بالرَّفع، وقرأ الباقون ﴿ **اللهِ** الَّذِي ﴾ بالخفض، ويعقوب إذا وصل ﴿ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ خَفَض، وإذا وقف على ﴿ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ وابتدأ ﴿ **الله** ﴾ رفع [1].

فبالخفض: على أنَّه بدل ممَّا قبله، وبالرَّفع: على ثلاثة أوجه:

الأوَّل: أنَّه مبتدأ، ﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾.

الثاني: خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: «هو الله»، وجملة ﴿ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ صفة للفظ الجلالة.

---

(١) ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص٢٥٦)، وإيضاح الوقف والابتداء (٢/ ٧٣٩).

الثالث: هو مبتدأ، وجملة ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ صفتُهُ، والخبر محذوف[١].

وفيها: إثبات اسم الله العزيز الحميد.

فـ«العزيز» ورد في القرآن اثنتان وتسعون مرَّة، فهو المنيع الذي لا يُغلَب، وهو الذي له العزَّة كلها كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [يونس من الآية: ٦٥].

فمعاني العزَّة الثلاثة كلها كاملة لله العظيم:

١ -عزَّة القوة الدال عليها من أسمائه القوي المتين، وهي وصفه العظيم الذي لا تنسب إليه قوة المخلوقات وإن عظُمَت.

٢ -وعزَّة الامتناع؛ فإنَّه هو الغني بذاته، فلا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العباد ضره فيضرونه، ولا نفعه فينفعونه؛ بل هو الضار النافع المعطي المانع.

---

(١) ينظر: التبيان في إعراب القرآن (٢/ ٧٦٢).

٣ - وعزَّة القهر والغلبة لكل الكائنات، فهي كلها مقهورة لله خاضعة لعظمته منقادة لإرادته[١].

وورد اسم «**الحميد**» في القرآن سبع عشرة مرَّة، اقترن في عشرٍ منها بالغني، وسبع مرات مع أسماء: «الغني، المجيد، الولي، العزيز».

فالله -عز وجل- حميدٌ من وجهين:

الأول: أنَّ جميع المخلوقات ناطقة بحمده.

الثاني: أنَّه يُحمَد على ماله من الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العليا والمدائح[٢].

وجه اقتران الاسمين: أنَّ «العزَّة صفة كمال لله -عز وجل-، والحمد صفة كمال أخرى، واقتران العزة بالحمد صفة كمال ثالثة لله تَعَالَى»[٣].

ومناسبة الاسمين للسياق: أنَّ اسم «العزيز» وهو المنيع الذي لا يُغلَب، وفيه إشارة على أنَّ التمسك بالقرآن يُحقِّق العزَّة لأهله، ومن جهة

---

(١) ينظر: شأن الدعاء للخطابي (ص١١٠-١١١)، وتفسير السعدي سورة يس.

(٢) ينظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (ص٥٥).

(٣) موسوعة شرح أسماء الله الحسنى (١/ ٢٥٢).

أخرى أنَّ القرآن حجَّة على الخلق، فمن تركه ولم يؤمن به فالله هو غالب بعزَّته سبحانه، والقرآن مهيمن على الكتب الأخرى ويُغنِي عنها، ومن يتمسَّك بالقرآن تتنزَّل عليه الملائكة، ويغلب كلَّ الشبهات، ولا تستطيع عليه البَطَلة والشياطين، وبه يُرفَع أقوام ويعزهم.

وأمَّا اسم «**الحميد**»: فإنَّ المناسبة أنَّ إنزال القرآن أعظم نعمة تستحقُّ الحمد.

وفيها: في قوله تعالى: ﴿ وَوَيۡلٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ ۝٢ ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ۝٣ ﴾. الوعيد الشديد للكفار.

وفيها: أنَّ الكفار يستحبُّون الدنيا على الآخرة، ويصدُّون عن الحق.

وفيها: التحذير من الدنيا وعدم التعلُّق بها.

❖ **ثانيا:**

الفوائد من قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٤ ﴾

وفيها: أنَّ الله يرسل الرسل بلسان أقوامهم من أجل إقامة الحجَّة عليهم، ويُبيِّن لهم الحق والباطل، فمن اهتدى فلنفسه ومن ضلَّ فعليها.

وفيها: إثبات اسمي «العزيز» و«الحكيم»، وتقدَّم اسم «العزيز».

وأمَّا «الحكيم»: قال ابن جرير(٣١٠هـ): «الذي لا يدخل تدبيره خلل ولا زلل»[١].

فمناسبة الاسمين للسياق: أنَّه ذو عزَّة وقوَّة، وهو حكيمٌ يضع الأشياء في محالِّها بحكمته، ويضل ويهدي بعدله، لا يظلم أحدا.

❖ **ثالثا:**

الفوائد من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝٥ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝٦ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن

(١) جامع البيان (١/ ٤٣٦)..

كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ ﴾.

وفيها: تسلية النَّبيِّ ﷺ وحثُّه على الصبر بذكر حال موسى وما لاقاه في دعوته.

وفيها: أنَّ على المسلم يتذكَّر نعم الله عليه ليشكره دوما، فما من إنسان إلا ويصبح على نعم من الله، تزيد وتنقص من شخص لآخر، ومن أمَّة لأمَّة أخرى.

وفيها: استحباب الوعظ المرقِّق للقلوب والاعتبار بما مضى من الأيام؛ لتقوية الإيمان في قلوب المؤمنين.

وفيها: في قوله تعالى ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ أهمية الصبر والشكر، فهما يقومان على الإيمان، وبهما تدوم النعم؛ بل الإيمان نصفان: نصفٌ صبرٌ، ونصفٌ شكرٌ.

وهذه العلاقة دلَّ عليها حديث صُهَيْبٍ-رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا**

لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»[١]، فمنازل الإيمان كلُّها بين الصبر والشكر[٢].

وفيها: في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝٨ ﴾ أنَّ النِّعم تدوم بالشكر والطاعة، قال الطبري(٣١٠هـ): «لَئِنْ شَكَرْتُمْ رَبَّكُمْ بِطَاعَتِكُمْ إِيَّاهُ فِيمَا أَمَرَكُمْ وَنَهَاكُمْ، (لَأَزِيدَنَّكُمْ): فِي أَيَادِيهِ عِنْدَكُمْ، وَنِعَمِهِ عَلَيْكُمْ، عَلَى مَا قَدْ أَعْطَاكُمْ مِنَ النَّجَاةِ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ، وَالْخَلَاصِ مِنْ عَذَابِهِمْ»[٣].

وبالكفر تزول النعم كما في قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ۝١١٢ ﴾

---

(١) رواه مسلم (٢٩٩٩).

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين - ط عطاءات العلم - (٢/ ٥٧٧).

(٣) جامع البيان (١٣/ ٦٠١).

وفيها: أنَّ الله غنيٌّ حميدٌ لا يحتاج إلى عباده كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [النمل: ٤٠]، وجاء في حديث أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، وفيه أَنَّهُ قَالَ: «**يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي.**

يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا.

يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا.

يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ.

يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»[1].

---

(١) رواه مسلم (٢٥٧٧).

وفيها: أنَّ الله يبتلي عباده بالنعم، فمن شكر زاده الله من فضله وحفظه من الشرور، ويدل عليها أيضًا قوله تعالى في قصَّة سليمان -عليه السلام- ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾. وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [القمر: ٣٤-٣٥].

❖ رابعا:

الفوائد من قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ * قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن

نَّأۡتِيَكُم بِسُلۡطَٰنٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

فيها: في قوله: ﴿ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ ﴾ هل هو من تمام قول موسى في الآيات التي قبلها أم أنَّه مستأنف؟ فيها قولان:

الأوَّل: قال به ابن جرير.

والثاني: قال به ابن كثير.

وفيها: التذكير بحال الأنبياء السَّابقين، وأنَّ من سنن الله يُكذَّبون ويكون الابتلاء لهم ولأتْبَاعهم المؤمنين.

وفيها: في معنى قوله تعالى: ﴿ فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ ﴾ أقوال:

الأول: أَنَّهُم أَشَارُوا إِلَى أَفْوَاهِ الرُّسُلِ يَأْمُرُونَهُم بِالسُّكُوتِ عَنْهُم، لَمَّا دَعَوْهُمْ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

الثاني: أَنَّهم وَضَعُوا أَيْدِيَهُم عَلَى أَفْوَاهِهِمْ تَكْذِيبًا لَهُمْ.

الثالث: أنَّ وضع أيديهم في أفواههم عِبَارَةٌ عَنْ سُكُوتِهِم عَنْ جَوَابِ الرُّسُلِ.

الرابع: أَنَّهُم كَذَّبُوهُمْ وَرَدُّوا عَلَيْهِم قَوْلَهُم بِأَفْوَاهِهِم، وهذا قال به مُجَاهِدٌ، وَمُحَمَّدُ بن كعب، وقتادة.

الخامس: وهو قول ابن جرير وأيَّده ابن كثير: أنَّ «**في**» هنا بِمَعْنَى «**البَاءِ**»، واستشهد بما سُمِعَ مِنَ العَرَبِ[١]: «**أَدْخَلَكَ اللهُ بِالْجَنَّةِ**»؛ يَعْنُونَ: فِي الجَنَّةِ.

وقال الشاعر:

وَأَرْغَبُ فِيهَا عَنْ لَقِيطٍ[٢] وَرَهْطِهِ *** وَلَكِنَّنِي عَنْ سِنْبِسٍ لَسْتُ أَرْغَبُ[٣]

يُرِيدُ: أَرْغَبُ بِهَا.

وجعل ابن كثير: سياق وتمام الآية مفسِّرا لها في قوله ﴿ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ﴾ وقال: «فَكَأَنَّ هَذَا - واللهُ أعلم- تفسير لمعنى: (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ)»[٤].

---

(١) وهو من لغة قبيلة طيء، يقولون: «رغبت فيك، يريدون: رغبت بك». ينظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٢٣).

(٢) يريد: لقيط بن زُرارة، ورهطه: بنو دارم، وسنبس: من قبيلة طيء. ينظر: الإبانة في اللغة العربية (٣/ ١٦١).

(٣) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٢٣)، وينظر تفسير الطبري.

(٤) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٩٩).

وهناك من ضعَّف هذا القول على اعتبار أنَّ الواو هي للعطف وتقتضي المغايرة لِمَا قبلها[١].

السادس: أنَّ معناها: (عَضُّوا عَلَيْهَا غَيْظًا)، وَرَدَ بسند صحيح عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- من طريق سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَإِسْرَائِيلَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي الأَحْوَصِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ.

واخْتَارَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، ووَجَّهَهُ ابْنُ جَرِيرٍ مُخْتَارًا لَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى عَنِ المُنَافِقِينَ ﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١١٩].

السابع: أنَّ معناها: لَمَّا سمعوا كلام الله عَجِبُوا ورَجَعُوا بِأَيْدِيهِمْ إِلَى أَفْوَاهِهِمْ. نقله العَوْفِيُّ عن ابن عباس-رضي الله عنهما-.

وفيها: في قوله تعالى ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أنَّ الرسل-عليهم السلام-كما هو معلوم عنهم في آيات كثيرة؛

---

(١) وهو الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، حيث قال: «الظاهر عندي خلاف ما استظهره ابن كثير رحمه الله تعالى؛ لأنَّ العطف بالواو يقتضي مغايرة ما بعده لِمَا قبله، فيدلُّ على أنَّ المراد بقوله: {فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ} الآية، غير التصريح بالتكذيب بالأفواه، والعلم عند الله تعالى». أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن -ط عطاءات العلم- (٣/ ١٢٦).

يعنون إلهية الله وتفرُّده بوجوب العبادة له، أي: هل في ذلك شكٌّ وأنتم تعلمون أنَّه خالقٌ وفاطرٌ للسَّموات والأرض؟!

وفيها: في قوله تعالى: ﴿ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ أنَّ الله-عز وجل- عبر رسله -عليهم السلام- بيَّن لأقوامهم أنَّ الله يستر عليهم بعض ذنوبهم ويعفو عنهم إذا أفردوا الله بالعبادة ولم يشركوا.

وفيها: في قوله تعالى ﴿ قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾

نعرف أنَّ هذه الشبهة، وهي: (أنَّ النبي ﷺ بشر لم يأت بوحي من الله) قديمةٌ، وما زالت إلى زمننا هذا، وهي متشكلَّة في صور متنوِّعة في الأفكار العلمانية، على النحو الآتي:

أوَّلا: أنَّ الذي جاء به النَّبيُّ ﷺ هو مُنتَحل لأديانٍ سابقة، أو إفرازات ثقافية لمرحلة معيَّنة انتهت وانقضت، أو أنَّه أسطوريا؛ ولذلك هو عندهم بشري المصدر، أو تاريخي.

ثانيا: التكذيب بكثير ممَّا أخبر به في القرآن من آيات، وأنَّها مخالفة للعقل وطبيعة البشر؛ ولذا يرون إعادة قراءة الوحي والسِّيرة على ضوء الدِّراسات الغربية النقدية، وتأويلها بما يوافق أهواءهم.

ثالثا: أنَّه بشر لا يأتيه الوحي من السماء؛ بل هو اجتهد اجتهادا خاصًّا غير مُلزِم لغيره؛ بل زعموا أنَّه مُنتَحل لأديان وثقافات سابقة.

رابعا: تكذيبهم ورفضهم لعصمة النَّبيِّ ﷺ التي هي من أهم خصائص النُّبوَّة؛ لأنَّ مبدأهم يقوم على محاربة كل ما هو مقدَّس، ولهم تأويلات في ذلك كثيرة، كقولهم: إنَّها مأخوذة من النصرانية[1].

وفيها: في قوله تعالى: ﴿ تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴾ النهي عن التقليد مذموم؛ وأنَّه من أسباب الصَّدِّ عن الحق، كما قال تعالى عنهم: ﴿ بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ٢٢ ﴾ [الزخرف: ٢٣]، ومثله قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٧٠ ﴾ [البقرة: ١٧٠].

---

(١) ينظر للاستزادة: العلمانيون والنُّبوَّة لماجد الأسمري(ص١١-١٨٤).

فهؤلاء ذُكِّروا بآيات الله، فعاقبهم الله وجعل على قلوبهم أكنَّة وفي آذانهم وقر كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴾ [الكهف:٥٧]

وبيّن لهم رسلهم الهدى فاستمسكوا بمجرد تقليد الآباء كما في قوله تعالى: ﴿ قَلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ [الزخرف:٢٤].

❖ خامسا:

الفوائد من قوله تعالى ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَـٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

فيها: أنَّ الأنبياء -عليهم السلام- لا يملكون إنزال الآيات إلا بإذنٍ مِنَ الله.

وفيها: أنَّ الشيئين قد يتساوى في الاسم أو الشبه، لكن يختلفا في الحكم، فالكفار كان مُحالًا عندهم أن يكون بَشَرٌ وَبشَرٌ يرسل أحدهما، ويفضل بالرسالة على شبهه في الجنسية، فصدَّقتهم الرسل فيما ادَّعوا عليهم من مساواة الجنسية، وخالفوهم في إيجاب مساواة الجنسية مساواة الحكم، فقالوا لهم: ﴿ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأۡتِيَكُم بِسُلۡطَٰنٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ﴾ (١).

وفيها: أنَّ الله-تعالى-ذكر التَّوكل ثلاث مرات لأهميته وقيامه على التوحيد الخالص.

وفيها: في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴾ تأكيد على أهمية التَّوكل، ووجوب أن يكون لله وحده؛ لأنَّ تقديم المعمول على عامله يقتضي الحصر، لأنَّ الأصل تقدُّم العامل على المعمول.

---

(١) ينظر: نكت القرآن، القصاب (٢/ ٢٣).

وفيها: في قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ أنَّ الأنبياء بدؤوا بأنفسهم في التذكير بالتَّوكل، ثم أمروا أتباعهم به والمؤمنين كافة.

وفيها: في قوله تعالى ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ ﴾ و«ما» استفهامية للاستنكار، وهو بمعنى النفي، أي: لا عذر لنا يمنع عن التَّوكل.

وفيها: في قوله تعالى: ﴿ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ ﴾ الواو عاطفة، واللام جواب قسم مضمر-محذوف-، حلفوا على الصبر على أذاهم وأن لا يُمسِكوا عن دعائهم.

وفيها: في قوله تعالى: ﴿ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ ﴾ أي: يتوكَّلون على الله في صبرهم على أذاهم، وفي صبرهم على كل شيء يحتاج إلى صبر.

❖ سادسا:

الفوائد من قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ

مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾

فيها: أنَّ من السنن الكونية امتحان الأنبياء -عليهم السلام- بالمعاندين لدعوتهم.

وفيها: أنَّ الكفار يواجهون دعوة الأنبياء -عليهم السلام- بالصَّد عن الحقِّ، وتخييرهم إمَّا أن يعودوا إلى ملتهم-أي دينهم أو طريقتهم- أو يخرجوا من ديارهم.

وفيها: أنَّ الحق وأهله منصورون، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات: ١٧٢-١٧٣].

وفيها: أنَّ من أسباب النصر الأعمال القلبية وتقوية الإيمان بها، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾.

فكانوا يخافون الله ويخشونه، ولا شك أنَّ الخوف يجتمع مع عبادة المحبَّة والرجاء، إذ محلها جميعا في القلب، وهي لا شك إذا اجتمعت

تحقَّق النصر والتمكين كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤ ﴾ [المائدة: ٥٤].

وبالرجاء أيضا يتحقَّق النصر كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢١٨ ﴾ [البقرة: ٢١٨] وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبۡتِغَآءِ ٱلۡقَوۡمِۖ إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٠٤ ﴾ [النساء: ١٠٤].

وبالصبر أيضا يأتي النصر كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ١٢٨ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ١٢٩ ﴾ [الأعراف: ١٢٨-١٢٩] وقوله تعالى: ﴿ وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ١٣٧ ﴾ [الأعراف: ١٣٧].

وفيها: في قوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ أنَّ الرسل طلبوا النصر من الله -تعالى-، وهو قول ابن عباس، ومجاهد، وَقَتَادَة[١]، وأكثر المفسرين[٢]، ونُقِل عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، أنَّ الذي استفتح هم الكفار، استفتحوا البلاء[٣].

ويحتمل اجتماع الأمرين؛ إذ لا مانع من ذلك، قال ابن كثير: «وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا مُرَادًا وَهَذَا مُرَادًا، كَمَا أَنَّهُمُ اسْتَفْتَحُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ، وَاسْتَفْتَحَ رَسُولُ اللهِ وَاسْتَنْصَرَ، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى لِلْمُشْرِكِينَ: ﴿ إِن

---

(١) قول ابن عباس أخرجه الطبري في تفسيره (٢٠٦١٧)، وقول مجاهد رواه ابن أبي حاتم في التفسير (١٢٢٣٠)، وقول قتادة رواه ابن جرير (٢٠٦٢٠) (٢٠٦٢١) (٢٠٦٢٢) وأورده البغوي في التفسير (٤/ ٣٤٠).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (١٦/ ٥٤٢)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ١٥٦)، والهداية الى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب (٥/ ٣٧٨٧)، والتفسير الوسيط للواحدي (٣/ ٢٦)، وتفسير البغوي (٤/ ٣٤٠)، وزاد المسير في علم التفسير (٢/ ٥٠٧)، وتفسير القرطبي (٩/ ٣٤٩)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٦٠١).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (١٣/ ٦١٦)، وتفسير البغوي (٤/ ٣٤٠)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٦٠١).

تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ الآيَةَ [الْأَنْفَالِ: ١٩]، واللهُ أَعْلَمُ»[١].

وفيها: في قوله تعالى ﴿ وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ أنَّ من أسباب النصر: الدعاء، إضافة لِمَا سبق في أعمال القلوب.

وفيها: أنَّ من أسباب الخذلان والهزيمة الكبر والتَّجبر، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾.

وفيها: في قوله تعالى ﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴾ أي: من أمامه، قاله ابن قتيبة(٢٧٦هـ)[٢]، وقال إبراهيم الحربي(٢٨٥هـ): «**أَيْ بَيْنَ يَدَيْهِ**»[٣]، وقال ابن جرير (٣١٠هـ): «و(**وَرَاءَ**) فِي هَذَا المَوْضِعِ: يَعْنِي أَمَامَ، كَمَا يُقَالُ: إِنَّ المَوْتَ مِنْ وَرَائِكَ: أَيْ قُدَّامِكَ، وَكَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

أَتُوعِدُنِي وَرَاءَ بَنِي رِيَاحٍ *** كَذَبْتَ لَتَقْصُرَنَّ يَدَاكَ دُونِي»[٤].

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٦٠١).

(٢) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص٢٣١).

(٣) غريب الحديث لإبراهيم الحربي (٢/ ٧٦٠).

(٤) تفسير الطبري (١٣/ ٦١٨).

وهذا كما في قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبًا ۝٧٩ ﴾ [الكهف: ٧٩]

كما قال الشاعر:

وَمِنْ وَرَائِكَ يَوْمٌ أَنْتَ بَالِغُهُ *** لَا حَاضِرٌ مُعْجَزٌ عَنْهُ وَلَا بَادِي

وَقَالَ آخَرُ:

أَتَرْجُو بَنُو مَرْوَانَ سَمْعِي وَطَاعَتِي *** وَقَوْمِي تَمِيمٌ وَالْفَلَاةُ وَرَائِيَا[1].

وفيها: الوعيد الشديد للمتكبِّرين الجبَّارين، وقد ورد من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ لَهَا عَيْنَانِ تُبْصِرَانِ وَأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ وَلِسَانٌ يَنْطِقُ، يَقُولُ: إِنِّي وُكِّلْتُ بِثَلَاثَةٍ، بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَبِكُلِّ مَنْ دَعَا مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ، وَبِالمُصَوِّرِينَ**»[2].

---

(١) تفسير القرطبي (٩/ ٣٥٠)، وفتح القدير للشوكاني (٦/ ١١٣)، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ١٢٩) - ط عطاءات العلم -.

(٢) رواه أحمد (٨٤٣٠)، والترمذي (٢٥٧٤) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ»، وجاء من حديث أَبِي سَعِيدٍ. ورواه الحارث في مسنده (١١٢٢) موقوفا على عبد الله بن عباس-رضي الله عنهما-، قال ابن حجر في إتحاف الخيرة (٨/ ١٦٢): «رَوَاهُ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي أسامة موقوفًا بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ».

وفيها: في قوله تعالى: ﴿ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ بيان حال الكفار في جهنَّم وشدَّة عذابهم، فالصديد جاء من حديث عُبَيْدِ اللهِ بْنِ بُسْرٍ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ -رضي الله عنه- عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ: « ﴿ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ ﴾ قَالَ: **يُقَرَّبُ إِلَيْهِ فَيَتَكَرَّهُهُ، فَإِذَا أُدْنِيَ مِنْهُ شَوَى وَجْهَهُ، وَوَقَعَتْ فَرْوَةُ رَأْسِهِ، فَإِذَا شَرِبَهُ قَطَّعَ أَمْعَاءَهُ، حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ دُبُرِهِ،** يَقُولُ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾ [محمد: ١٥]، وَيَقُولُ اللهُ: ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف: ٢٩] »[1].

---

(١) رواه أحمد (٢٢٢٨٥)، والترمذي (٢٥٨٣) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. وَهَكَذَا قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ: عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ بُسْرٍ. وَلَا نَعْرِفُ عُبَيْدَ اللهِ بْنَ بُسْرٍ إِلَّا فِي هَذَا الحَدِيثِ. وَقَدْ رَوَى صَفْوَانُ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُسْرٍ صَاحِبِ النَّبِيِّ ﷺ غَيْرَ هَذَا الحَدِيثِ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ بُسْرٍ لَهُ أَخٌ قَدْ سَمِعَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَأُخْتُهُ قَدْ سَمِعَتْ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَعُبَيْدُ اللهِ بْنُ بُسْرٍ الَّذِي رَوَى عَنْهُ صَفْوَانُ بْنُ عَمْرٍو حَدِيثَ أَبِي أُمَامَةَ لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ أَخَا عَبْدِ اللهِ بْنِ بُسْرٍ»، ورواه النسائي في الكبرى (١١١٩٩)، والطبراني في الكبير (٧٤٦٠)، والحاكم في المستدرك (٣٣٣٩) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي.

والماء الصديد يكون حارًّا فِي غَايَةِ الْحَرَارَةِ، وباردًا في غَايَةِ الْبَرْدِ وَالنَّتَنِ، كَمَا قَالَ ﴿ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ ﴾ [ص: ٥٧، ٥٨].

قال مجاهدفي الماء الصَّديد: «قيحٌ ودم»(١).

وقال قتادة: «الصَّديد: ما يسيل من لحمه وجلدِه»(٢).

وقال الضحاك: «يعني بالصَّديد: ما يخرج من جوف الكافر، قد خالط القَيْح والدم»(٣).

وصديد أهل النار أو عرقهم يُسمَّى: «**طِينَةُ الْخَبَالِ**» كما في أحاديث، منها: حديث جَابِرٍ-رضي الله عنه- وفيه: «**قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا طِينَةُ الْخَبَالِ؟ قَالَ: عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ، أَوْ عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ**»(٤).

وفيها: : في قوله تعالى: ﴿ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ أنه مع ما سبق من ذكر لأنواع من العذاب، هناك أنواع أخرى من العذاب هي أشد منها، من ذلك: أن طعامهم تَارَةً يَكُون من زَقُّومٍ، يشربون عليه الحَمِيم، وَتَارَةً يُرَدُّونَ إِلَى الْجَحِيمِ-عِيَاذًا بِاللهِ مِنْ ذَلِكَ-وَهَكَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ هَٰذِهِۦ

(١) رواه ابن جرير في التفسير (٢٠٦٢٦) (٢٠٦٢٧).

(٢) رواه ابن جرير في التفسير (٢٠٦٢٨) (٢٠٦٢٩).

(٣) رواه ابن جرير في التفسير (٢٠٦٣٠).

(٤) رواه مسلم (٢٠٠٢).

جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الرَّحْمَنِ] ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الدُّخَانِ] ، وَقَالَ: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الْوَاقِعَةِ] ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ ﴾ [ص] ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى تَنَوُّعِ الْعَذَابِ عَلَيْهِمْ، وَتَكْرَارِهِ وَأَنْوَاعِهِ وَأَشْكَالِهِ، مِمَّا لَا يُحْصِيهِ إِلَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، جَزَاءً وِفَاقًا[1].

وفيها: في قوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴾ أنَّ الله تعالى ضرب مَثلًا لِأَعْمَالِ الْكُفَّارِ

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٦٠٤).

الَّذِينَ عَبَدُوا مَعَ الله غَيْرَهُ، وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ، وَبَنَوْا أَعْمَالَهُمْ عَلَى غَيْرِ أَسَاسٍ صَحِيحٍ، فَانْهَارَتْ وَعَدِمُوهَا أَحْوَجَ مَا كَانُوا إِلَيْهَا.

فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ ﴾ أي: مثل أعمالهم يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا طَلَبُوا ثَوَابَهَا مِنَ اللهِ تعالى؛ لأَنَّهم كانوا يحسبون أَنَّهم كانوا عَلَى شَيْءٍ فَلَمْ يحصلوا شَيْئًا، إِلَّا كَمَا يُتَحَصَّلُ مِنَ الرَّمَادِ إِذَا اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ الْعَاصِفَةُ ﴿ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ ﴾ ، والعصف: شدَّة الريح، فشبَّه الرَّماد الذي يتناثر مع الريح الشديد بأعمالهم التي كسبوها في الدنيا؛ إذ لم تنفعهم لوقوعهم في الشرك الذي هدم أعمالهم، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ٢٣ ﴾ [الفرقان] ، وقوله تعالى: ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتۡ حَرۡثَ قَوۡمٖ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَأَهۡلَكَتۡهُۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ١١٧ ﴾ [آل عمران] ، وقوله تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦٤ ﴾ [البقرة] .

وضرب الله أيضا مَثلًا لأعمال الكافر بالسَّراب الذي لا وجود له، فقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٣٩ ﴾ [النور].

فمن كان حاله هكذا ضلَّ ضلالا بعيدا؛ لأنَّ سعيه بلا أساس وأصل يقوم عليه؛ ولذلك ختم الآية بقوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴾[1].

❖ **سابعا:**

الفوائد من قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ١٩ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ٢٠ ﴾.

فيها: أنَّ الرؤية التي في قوله: ﴿ أَلَمۡ تَرَ ﴾ هي رؤية قلبية، قال ابن جرير(٣١٠هـ): «يَقُولُ –عَزَّ ذِكْرُهُ– لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ –ﷺ–: ﴿ أَلَمۡ تَرَ ﴾ يَا مُحَمَّدُ بِعَيْنِ قَلْبِكَ، فَتَعْلَمَ أَنَّ اللهَ أَنْشَأَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ مُنْفَرِدًا بِإِنْشَائِهَا بِغَيْرِ ظَهِيرٍ وَلَا مُعِينٍ»[2].

---

(١) ينظر: المصدر نفسه.

(٢) التفسير (١٣/ ٦٢٥).

وفيها: في قوله تعالى: ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ أنَّ الَّذِي تَفَرَّدَ بِخَلْقِ السموات والأرض مِنْ غَيْرِ مُعِينٍ وَلَا شَرِيكٍ، قادرٌ على أَنْ يُذْهِبَكُمْ ويُفْنِيَكُمْ، وَيَأْتِ بِخَلْقٍ آخَرَ، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ ﴾[النساء] وقوله تعالى: ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾ ﴾ [الإنسان].

❖ **ثامنا:**

الفوائد من قوله تعالى: ﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍۚ قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ ﴾

فيها: إثبات الحساب يوم القيامة للعباد، وأنَّهم يبرزون على أرض لا يمكن لأحد منهم أن يختبئ فيها؛ لأنَّه ليس فيها عَلَم، أو جبل، أو شجر، كما في حديث سَهْلِ بْن سَعْدٍ -رضي الله عنه- قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:

«**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ**»، قَالَ سَهْلٌ أَوْ غَيْرُهُ: لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ»(١).

وفيها: وقوع المجادلة والمخاصمة بين كبراء الكفار وضعفائهم، وتكرَّر هذا في آيات أخرى، في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ٣١ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۡ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ٣٢ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٣٣ ﴾

والمخاصمة والمجادلة تكون في النار، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ ٤٧ قَالَ ٱلَّذِينَ

---

(١) رواه البخاري (٦٥٢١)، ومسلم (٢٧٩٠).

ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ ﴿٤٨﴾ ﴾ [غافر] وقوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأعراف]

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأحزاب]

وفيها: في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيۡنَٰكُمۡۖ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ ﴿٢١﴾ ﴾ أنَّ المتبوعين أجابوا أتباعهم بإجابة العاجز الذَّليل، محتجِّين بالقدر على ضلالهم، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿ فَحَقَّ عَلَيۡنَا قَوۡلُ رَبِّنَآۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغۡوَيۡنَٰكُمۡ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الصافات].

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۡۖ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [سبأ].

وفيها: في قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ أنَّ الصَّبر والتَّضرع والجزع لا ينفع الكفار، ولا مفرَّ من العذاب.

❖ **تاسعا:**

الفوائد من قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٢ وَأُدۡخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۖ تَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌ ٢٣﴾.

فيها: أنَّ الله تعالى حَكَى مَا سَيَقُولُهُ الشيطان فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ لِيَكُونَ تَنْبِيهًا لأتباع الشيطان، فينظروا فِي عَاقِبَتِهِمْ، وَيستعدُّوا لِمَا لَا بُدَّ مِنْهُ، وَأَنْ يَتَصَوَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ ذَلِكَ الْمَقَامَ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ الشَّيْطَانُ مَا يقول؛ ليخافوا، ويعلموا ويتعلَّموا مَا يُخَلِّصُهُمْ مِنْهُ، وَيُنْجِيهِمْ[1].

---

(١) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي (٧٤٥هـ) (٦/ ٤٣٠).

وفيها: أنَّ خطاب إبليس للكفَّار جاء بعد الآيات التي فيها اختصامهم، وهذا فيه أنَّ أهل الباطل يقرُّون بضلالهم، ويعترفون بالحق حين يشاهدون ويذوقون العذاب.

وفيها: أنَّ حجج الشيطان لا سلطان أو دليل عليها، وفي المقابل حجج الرسل -عليهم السلام- ظاهرة وبيِّنة؛ بل إنَّ الشيطان يجحد عبادتهم لغير الله، قال ابن جرير(٣١٠هـ) -في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ﴾ -: «يَقُولُ: إِنِّي جَحَدْتُ أَنْ أَكُونَ شَرِيكًا للهِ فِيمَا أَشْرَكْتُمُونِي فِيهِ مِنْ عِبَادَتِكُمْ مِنْ قَبْلُ فِي الدُّنْيَا»[1].

وهذا الجحد يكون لكلِّ مَنْ عُبِد من دون الله: كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦ ﴾ [الأحقاف] وقوله تعالى: ﴿ كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ۝٨٢ ﴾.

(١) تفسير الطبري (١٣/ ٦٢٩).

وفيها: أنَّ سلطان الشيطان كان في الدنيا على أتباعه؛ لأنَّهم أطاعوه، فالله لم يجعل له سلطانا عليهم ابتداء، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ١٠٠ ﴾ [النحل].

وفيها: في قوله تعالى: ﴿ وَأُدۡخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۖ تَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾ أنَّ الله تعالى لَمَّا ذَكَرَ مَآلَ الْأَشْقِيَاءِ وَمَا صَارُوا إِلَيْهِ مِنَ الْخِزْيِ والنَّكَال، وَأَنَّ خَطِيبَهُمْ إِبْلِيسُ، عَطَفَ في هذه الآية بِحَالِ السُّعَدَاءِ وَأَنَّهُمْ يَدْخُلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ لَا يُحَوَّلُونَ وَلَا يَزُولُونَ، ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣ ﴾ [الزُّمَر]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤ ﴾ [الرَّعْدِ] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ٧٥ ﴾ [الْفُرْقَانِ]، وَقَالَ: ﴿ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ

وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [يُونُسَ].

وفيها: في قوله تعالى: ﴿ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾ فيه ردٌّ على المعتزلة والقدرية الذين يقولون: إنَّ العبد له إرادة ومشيئة مستقلَّة، لأنَّهم يتأوَّلون ويزعمون أنَّ الإذن من الله بمعنى (العلم)، فهذه الآية تلزمهم -على قولهم-أنَّ الذي يدخلهم الجنة غير الله، وهذا لا شك الكفر الصراح، ومثله قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [يونس: ١٠٠][1].

❖ عاشرا:

الفوائد من قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ

---

(١) ينظر: نكت القرآن للقصاب (٢/ ٢٦).

كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾.

فيها: أنَّ الكلمة الطيبة هي كلمة التوحيد: «لا إله إلا الله»، والشَّجرة هي: المؤمن، والأصل الثابت هو: قلب المؤمن الذي ينطق بالكلمة، والفرع الذي في السماء هو: العمل الذي إلى السماء، كما جاء عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنَّه قال: « **﴿ كَلِمَةً طَيِّبَةً ﴾ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ وَهُوَ الْمُؤْمِنُ، ﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ ﴾ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ثَابِتٌ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ، ﴿ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ يَقُولُ: يُرْفَعُ بِهَا عَمَلُ الْمُؤْمِنِ إِلَى السَّمَاءِ**»[(١)]، وروي عن ابن مسعود[(٢)]، وأنس[(٣)]، وابن عباس[(٤)] -رضي الله عنهم-: أنَّ الشجرة هي النخلة، وكذلك عن جماعة من السلف[(٥)].

وقد جاء في الصحيحين عَنِ ابْنِ عُمَرَ-رضي الله عنهما-قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا لِأَصْحَابِهِ: **أَخْبِرُونِي عَنْ شَجَرَةٍ مَثَلُهَا مَثَلُ الْمُؤْمِنِ.**

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٣/ ٦٣٥).

(٢) رواه الطبري في التفسير (٣/ ٩١).

(٣) رواه الطبري من أكثر من طريق في التفسير (١٣/ ٦٣٧).

(٤) رواه الطبري في التفسير (١٣/ ٦٤٠).

(٥) ينظر: تفسير الطبري (١٣/ ٦٣٥) وما بعدها، وتفسير ابن كثير (٤/ ٦٠٨).

فَجَعَلَ الْقَوْمُ يَذْكُرُونَ شَجَرًا مِنْ شَجَرِ الْبَوَادِي. قَالَ ابْنُ عُمَرَ: وَأُلْقِيَ فِي نَفْسِي أَوْ رَوْعِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَجَعَلْتُ أُرِيدُ أَنْ أَقُولَهَا، فَإِذَا أَسْنَانُ الْقَوْمِ، فَأَهَابُ أَنْ أَتَكَلَّمَ، فَلَمَّا سَكَتُوا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **هِيَ النَّخْلَةُ**»(١).

وفيها: أنَّ «الْحِكْمَة فِي تَمْثِيلِ الْإِيمَانِ بِالشَّجَرَةِ هِيَ: أَنَّ الشَّجَرَةَ لَا تَكُونُ شَجَرَةً إِلَّا بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: عِرْقٌ رَاسِخٌ، وَأَصْلٌ قَائِمٌ، وَفَرْعٌ عَالٍ، كَذَلِكَ الْإِيمَانُ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: تَصْدِيقٌ بِالْقَلْبِ، وَقَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْأَبْدَانِ»(٢).

وفيها: أنَّ كلمة الإخلاص جامعة للخير، نامية للحسنات، جالبة على قائلها الثواب، مثمرة له ما يُقرُّ الله به عينه في معاده إذا ورد عليه(٣).

وفيها: في قوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ «أنَّ كلمة الكفر غير مثمرة لقائلها خيرًا؛ بل حاطة عنه خيرًا إن كان له، تاركة قائلها مفلسًا لا تنمي له شيئًا يقرُّ اللهُ عينه إذا ورد عليه»(٤).

---

(١) رواه البخاري (٦١)، ومسلم (٢٨١١).

(٢) تفسير البغوي – طيبة – (٤/ ٣٤٧).

(٣) ينظر: نكت القرآن، القصاب (٢/ ٢٧).

(٤) المصدر نفسه (٢/ ٢٧).

فهي لا أصل لها ولا فرع، ولا يصعد للكافر عمل، ولا يتقبل منه شيء[١].

❖ حادي عشر:

الفوائد من قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾

فيها: أنَّ التثبيت الوارد في الآية عند الموت، وفي سؤال القبر، دلَّ عليها حديث الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ - ﷺ - قَالَ: «**الْمُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ: يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ. فَذَلِكَ قَوْلُهُ:** ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾»[٢].

وجاء في غير الصحيحين تفصيلات أخرى تتعلَّق بأسئلة القبر وحال المسلم والكافر منذ خروج الروح إلى بعد دخوله القبر.

ونصُّ الحديث:

عن البراء بن عازب -رضي الله عنه- وفيه قال: «**إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ**

---

(١) ينظر تفسير ابن كثير (٤/ ٦١٠).

(٢) رواه البخاري (٤٦٩٩)، ومسلم (٢٨٧١).

بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ - وفي رواية: المُطْمَئِنَّةُ -، اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ.

قال: فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِيِّ السِّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا ... »، إلى أن قال: «فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ شَدِيدَا الِانْتِهَارِ فَيَنْتَهِرَانِهِ وَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَيَقُولَانِ: مَا عَمَلُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ، وَآمَنْتُ بِهِ، وَصَدَقْتُ بِهِ. [فَيَنْتَهِرُهُ، فَيَقُولُ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ وَهِيَ آخِرُ فِتْنَةٍ تُعْرَضُ عَلَى الْمُؤْمِنِ، فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ وَدِينِي الإِسْلامُ وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ ﷺ].

فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ».

وأمَّا الكافر قال فيه: «فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ [قَالَ: فَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِ أَصْحَابِهِ، إِذَا وَلَّوْا عَنْهُ]، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ [شَدِيدَا الِانْتِهَارِ، فَيَنْتَهِرَانِهِ]، وَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ له: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ

فِيكُمْ؟ [فلا يَهْتَدِي لِاسْمِهِ، فَيُقَالُ: مُحَمَّدٌ] هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي [سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ ذَاكَ، قَالَ: فَيُقَالُ: لَا دَرَيْتَ]، [وَلَا تَلَوْتَ].

فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ، فَافْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ ...»[(١)] .

وأمَّا الأسئلة على وجه التفصيل فهي سبعة أسئلة[(٢)]:

السؤال الأول: «مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ»[(٣)].

السؤال الثاني: «هَلْ رَأَيْتَ اللهَ؟ فَيَقُولُ: مَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَرَى اللهَ»[(٤)].

---

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي (٧٨٩)، وعبد الرزاق في المصنَّف (٦٧٣٧)، وابن أبي شيبة (١٢٤٣٢)، وأحمد (١٨٥٣٤، ١٨٦١٤)، وأبو داود (٤٧٥٣)، والحاكم (١٠٧) وقال: «صحيح على شرط الشيخين» وأقرَّه الذهبي، وينظر تخريج الحديث في: أحكام الجنائز للألباني (١/ ٢٠٢).

(٢) ينظر للاستزادة: جاء الموت بما فيه(ص١٠-١١).

(٣) ونصُّه: «**﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾** قَالَ: نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ. فَيُقَالُ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ ﷺ فَذَلِكَ قَوْلُهُ ﷻ: **﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ﴾**» أخرجه مسلم (٢٨٧١)، من حديث الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ﷺ.

(٤) ونصُّه: «إِنَّ الْمَيِّتَ يَصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ، فَيُجْلَسُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فِي قَبْرِهِ، غَيْرَ فَزِعٍ، وَلَا مَشْعُوفٍ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: فِيمَ كُنْتَ؟ فَيَقُولُ: كُنْتُ فِي الْإِسْلَامِ، فَيُقَالُ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ﷺ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ عِنْدِ اللهِ فَصَدَّقْنَاهُ، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ رَأَيْتَ

السؤال الثالث: «ما دينُك؟ فيقول: ديني الإِسلامُ»[١].

السؤال الرابع: «مَا هَذَا الرجلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ»[٢].

اللهَ؟ فَيَقُولُ: مَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَرَى اللهَ، فَيُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ النَّارِ، فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَا وَقَاكَ اللهُ، ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ الْجَنَّةِ، فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا، وَمَا فِيهَا، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ، وَيُقَالُ لَهُ: عَلَى الْيَقِينِ كُنْتَ، وَعَلَيْهِ مُتَّ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ، إِنْ شَاءَ اللهُ، وَيُجْلَسُ الرَّجُلُ السُّوءُ فِي قَبْرِهِ، فَزِعًا مَشْعُوفًا، فَيُقَالُ لَهُ: فِيمَ كُنْتَ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، فَيُقَالُ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ؟ فَيَقُولُ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ قَوْلًا، فَقُلْتُهُ، فَيُفْرَجُ لَهُ قِبَلَ الْجَنَّةِ، فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَا صَرَفَ اللهُ عَنْكَ، ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ النَّارِ، فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا، يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ، عَلَى الشَّكِّ كُنْتَ، وَعَلَيْهِ مُتَّ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى» أخرجه ابن ماجه (٤٢٦٨)، والبزار في مسنده (٨٢١٩)، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه (٤/ ٢٥٢): «هَذَا إِسْنَاد صَحِيح».

(١) أخرجه أحمد (١٨٥٣٤)، وأبو داود (٤٧٥٣).

(٢) وهو نفس الحديث السابق حديث البراء.

السؤال الخامس: «مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟»[١]، قال: «وماذا تشهد به عليه؟»[٢]، وفي رواية: «مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»[٣].

السؤال السادس: «وَمَا يُدْرِيكَ؟ أَدْرَكْتَهُ؟ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ»[٤].

السؤال السابع: «وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ، فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ»[٥].

وفيها: الرد على مُنْكِري عذاب القبر كالمعتزلة ونحوهم، وفيها بشارة لأهل السنة والجماعة.

---

(١) أخرجه الترمذي (١٠٧١) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنَّف (١٢٤٣٦)، والخلال في السنة (١١٧٦)، وصحَّحه ابن حبان (٥٠٥٨)، والحاكم في المستدرك (١٤٠٣)، والبوصيري في إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة (٢/ ٤٩١).

(٣) أخرجه الترمذي (١٠٧١)، وصحَّحه ابن حبان (٥٠٤٧).

(٤) أخرجه أحمد (٤٢٦٩٧٦)، وصحَّحه الهيثمي في المجمع (٣/ ٥١).

(٥) أخرجه أحمد (١٨٥٣٤)، وأبو داود (٤٧٥٣).

وفيها: رد على القدرية والجبرية في مسألة الهداية والإضلال، فهناك أمران: الأول: فعل الله، وهو الإيجاد والتقدير، وهناك مباشرة، هو فعل العبد، وتطبيق ذلك على الآية: أنَّ الهداية وتثبيت المؤمنين والإضلال فعل الله سبحانه وتقديره، وأمَّا الثبات والاهتداء والضلال فهو فعل العبد، أو مباشرته، أو كسبه.

وإضلال الله لعبده: يكون بتركه وعدم إعانته، وهو محض عدله؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [التوبة: ١١٥]، فالله عاقبهم بالإضلال بعد بيانه ودلالته لعدم استجابتهم -وقد تقدم تفصيل ذلك في سورة الرعد-.

❖ ثاني عشر:

الفوائد من قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ ﴾.

قال البخاري (٢٥٦هـ) «﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا ﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ كَقَوْلِهِ: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ﴾ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ ﴾ الْبَوَارُ الْهَلَاكُ، بَارَ يَبُورُ بُورًا هَالِكِينَ»[1].

وفيها: التحذير من كفر النعمة، وأعظم نعمة: التوحيد، فمن ردَّه أو استبدله بالكفر بالله وبنعمه عليه دخل في وعيد الآية.

وفيها: في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ ردٌّ على الجهمية والمعتزلة في زعمهم أنَّ «جَعَل» تعني: خَلَق، إذ يستدلون بقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ [الزخرف: ٣] على خلق القرآن؛ لأنَّ «جعلوا» هنا بمعنى: صيَّروا وحكموا واعتقدوا، وليس بمعنى خَلَقَ.

فالخلاصة أنَّ «جعل» في القرآن تأتي على معنين:

الأول: بمعنى خلق، يَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ [الأنعام: ١]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الأنبياء:٣٠- ٣١].

---

(١) صحيح البخاري (٦/ ٨٠) -ط السلطانية-.

والثاني: بمعنى صيَّر وحكم، إِذَا تَعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ لَمْ يَكُنْ بِمَعْنَى خَلَقَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [النحل: ٩١]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢٤][1].

❖ ثالث عشر:

الفوائد من قوله تعالى: ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ﴾.

فيها: أنَّ كلمة ﴿ يُقِيمُواْ ﴾ جاءت مجزومة، ومعناه: معنى الأمر الذي معه شرطٌ مقدَّرٌ، كقول القائل: أطعِ الله يدخلك الجنة[2].

وفيها: التحذير من الصحبة الفاسدة، والحث على الصحبة الصالحة؛ لأنَّ الصحبة الفاسدة ستنقطع يوم القيامة، وأمَّا الصحبة الصالحة فتدوم ويُنْتَفع بها، قال قَتَادَةُ: «إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ عَلِمَ أَنَّ فِي الدُّنْيَا بُيُوعًا

---

(١) الحيدة والاعتذار (ص:٦٩) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١/ ١٨٢).

(٢) التفسير البسيط (١٢/ ٤٥٣).

وَخِلَالًا يَتَخَالُّونَ بِهَا فِي الدُّنْيَا، فَيَنْظُرُ رَجُلٌ مَنْ يُخَالِلُ وَعَلَامَ يُصَاحِبُ، فَإِنْ كَانَ للهِ فَلْيُدَاوِمْ، وَإِنْ كَانَ لِغَيْرِ اللهِ فَإِنَّهَا سَتَنْقَطِعُ»[1].

وفيها: أنَّ الأعمال الظاهرة هي من الإيمان، وداخله في مسمَّاه، يتفاضل الناس فيها، وتزيد وتنقص، وهذا شامل لأعمال الجوارح: كالصلاة، والحج، والجهاد، والصدقة، وغيرها.

ويدخل في الأعمال الظاهرة عمل اللسان: كالتسبيح، والتكبير، والاستغفار، والذكر، وقراءة القرآن، وغيرها، كما دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢].

والتفاضل يقع فيها كما يقع في الأعمال الباطنة[2].

وفيها: الحث على العمل، والإقبال على الله بالطاعات قبل فوات الأوان؛ إذ لا ينفع خليل خليله، ولا يقبل الله فدية، ولو افتدى بملء الأرض ذهبا، ولا شفاعة لمن كان كافرا.

---

(١) تفسير الطبري (١٣/ ٦٨٠).

(٢) ينظر: زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه (ص١٥٤-١٥٦).

❖ رابع عشر:

الفوائد من قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾

فيها: إفراد الربِّ -تعالى- بالقَيُّوميَّة والتدبير، والخلق والرِّزق، والعطاء والمنع، والضُّرِّ والنّفع[1]، فلا يستحقُّ شيءٌ من الربوبية غيره -سبحانه-.

وفيها: اتِّصاف الله بالربوبية قبل خلقه للمربوب، وأنَّ أفعاله -سبحانه-، وهي وصف قائم بذاته، تابعة لمشيئته -سبحانه-، وهي قديمة النوع، وآحادها لم تزل تحدث في ذات الرب بلا بداية ولا انقطاع، وإلا لزم القول بأنَّ الله كان معطَّلا عن صفاته -ومنها: صفة الخلق- ثُمَّ اكتسبها.

وهذا لا ينافي أنَّ الله متقدِّم على كل فرد من مخلوقاته، وأنَّ ما سواه مخلوق مُحْدَث بعد أن لم يكن، ولا ينافي معنى اسم «الأول»، كما أنَّ دوام الجنة وتنعُّم أهلها لا ينافي اسم الله «الآخر».

---

(١) ينظر: مدارج السالكين (٤/ ٣٤٣، ط: عطاءات العلم).

فالنتيجة لا بد من اعتقاد أمرين:

الأول: أنَّه -سبحانه- أنشأ الخلق إنشاءً من عدم، ولو لم يكن كذلك لصحَّ القول بقدم العالم، ولم يكن لله عليه خلق وإنشاء، قال -تعالى-: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۝٩﴾ [مريم:٩].

الثاني: أنَّ كل شيء سوى الله مخلوق، قال-تعالى-: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝٦٢﴾ [الزمر:٦٢] ومن كان مخلوقا لا يستطيع أن يخلق شيئا، قال-تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ۝٧٣﴾ [الحج:٧٣].

ولهذا ذكر العلماء قاعدة في توحيد الربوبية، وهي: الاستقلال بالفعل من خصائص الرَّبِّ -سبحانه-[1].

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٣١)، وقواعد في توحيد الربوبية والإلهية (ص٢٢).

وفيها: إفراد الله بالعبادة، وهذا أعظم أحكام ومُقْتَضَيات الربوبية، وهذه الآيات جاءت بعد الآيات التي فيها الأمر بالعبادة، وكثيرًا يأتي في القرآن تقرير الربوبية ثم مقتضاه وهو توحيد الألوهية، كما في قوله -تعالى-: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [آل عمران:٥١] وقوله-تعالى-:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام:١٠٢] وقوله-تعالى-:﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس:٣] وقال-تعالى-: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [مريم:٣٦].

وفيها: أنَّ الله سبحانه يُعطي السائلين، ويُهيِّئ للنَّاس ما يحتاجون، قال مُجَاهِدٌ: « ﴿ مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ ﴾ رَغِبْتُمْ إِلَيْهِ فِيهِ»(١).

وروى عبد الرزاق عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ ﴾ ، قَالَ: «لَمْ تَسْأَلُوهُ كُلَّ الَّذِي آتَاكُمْ»(٢).

---

(١) أورده البخاري في صحيحه (٦/ ٧٩)، ورواه ابن جرير في تفسيره (١٣/ ٦٨٣).

(٢) رواه في التفسير (١٤١٣).

وقال الفراء(٢٠٧هـ): «المعنى -والله أعلم-: آتاكم من كلِّ مَا سَألْتُموهُ لو سألتموه، كأنَّك قلت: وآتاكم كل سُؤْلكم، أَلا ترى أنك تَقُولُ للرجل لَمْ يسأل شيئًا: والله لأعطينَّك سُؤْلَكَ ما بَلَغَتْهُ مسألتكَ، وإن لم تسأل»[١].

وفيها: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ أنَّ أعظم الظلم جحود نعمة الله؛ وذلك أن تصرف العبادة إلى غير من أنعم عليه، قال ابن جرير: «إِنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي بَدَّلَ نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا (لَظَلُومٌ)، يَقُولُ: لَشَاكِرٌ غَيْرَ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ، فَهُوَ بِذَلِكَ -مِنْ فِعْلِهِ- وَاضِعُ الشُّكْرِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْهِ بِمَا أَنْعَمَ، وَاسْتَحَقَّ عَلَيْهِ إِخْلَاصَ الْعِبَادَةِ لَهُ، فَعَبَدَ غَيْرَهُ، وَجَعَلَ لَهُ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ، وَذَلِكَ هُوَ ظُلْمُهُ.

وَقَوْلُهُ: [**كَفَّارٌ**] يَقُولُ: هُوَ جُحُودُ نِعْمَةِ اللهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْهِ لِصَرْفِهِ الْعِبَادَةَ إِلَى غَيْرِ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ، وَتَرْكُهُ طَاعَةَ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ»[٢] .

❖ خامس عشر:

الفوائد من قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ

---

(١) معاني القرآن للفراء (٢/ ٧٨).

(٢) التفسير (١٣/ ٦٨٦).

ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

فيها: دعوة إبراهيم -عليه السلام- لمكَّة أن تكون آمنة، وقد استجاب الله دعاءه حيث قال تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [القصص: ٥٧] وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

وفيها: أنَّ في الآيات السابقة قرَّر الربوبية ومقتضاها، ثم في هذه الآيات ذكر قصَّة إبراهيم ودعائه بأنْ يجنبه الله الشِّرك، فكان مثالا عمليا لنبيِّ الموحدين.

وفيها: الخوف من الشرك، وقد بوَّب الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد فقال: «باب الخوف من الشرك»، وأورد هذه الآية مع قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ

﴾ [النساء: ١١٦]، قال إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ: «مَنْ يأمن البلاء بعد قول إبراهيم: (وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ؟)»(١).

ولذلك الإنسان قد يستحسن شيئا يظن أنَّه يقرِّبه إلى الله، وهو يبعده من الله ويقرِّبه من سخطه، وهذا يصدِّقه واقع كثير من الفرق: كالمتصوفة وغيرهم في عبادة أصحاب القبور والأولياء والأئمة، ويحسبون أنَّهم على شيء وهم على خلاف التوحيد. وقال سفيان الثوري: «فكن يا أخي كيِّسًا حَذِرًا على ما زال منك ومضى، لا تدري ماذا يَفعَل بك ربُّك فيه، وما بقي من عمرك لا تدري ماذا يحدث لك فيها، فإنَّ إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن حذر على نفسه فسأل ربه فقال: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾»(٢).

وفيها: أنَّ المسلم يُشْرِك أبناءَه بالدعاء، ولا يغفل عنهم، فهم من الأعمال الصالحة.

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٤٩) (١٢٢٨٧).

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٧/ ٢٥).

وفيها: في قوله تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٖ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أنَّ من أعظم ما يقوم به المسلم في مكة التَّفرغ للعبادة.

وفيها: ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ قال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير: لو قال: «أفئدة الناس» لازدحم عليه فارس، والروم، واليهود، والنصارى، والتُّرْك والديلم والناس كلُّهم، ولكن قال: «مِنَ النَّاس» فاختصَّ به المسلمون »[1].

وفيها: أهمية الصلاة؛ لأنَّه خصها من دون العبادات الأخرى، ولذلك كان ثواب الصلاة فيها يعدل مئة ألف صلاة فيما سواه: كما في حديث جابر -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ، إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِئَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ**»[2].

---

(١) روى أثر مجاهد ابن أبي شيبة في المصنَّف (١٦٥٧٦)، والطبراني في الكبير (١٤١٥٦)، وأورد ابن أبي حاتم الأثر عن ابن عباس في التفسير (٧/ ٢٢٥٠). وينظر: التفسير البسيط (١٢/ ٤٦٧)، وتفسير السمعاني (٣/ ١٢٠)، وتفسير البغوي (٤/ ٣٥٧)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٤٤١).

(٢) رواه أحمد (١٤٦٩٤).

وفيها: في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٣٨﴾ أنَّ إبراهيم -عليه السلام- قَصَدَ بِذَلِكَ رِضَا اللهِ عَنْهُ فِي مَحَبَّتِهِ أَنْ يَكُونَ وَلَدُهُ مِنْ أَهْلِ الطَّاعَةِ للهِ، وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ عَلَى مِثْلِ الَّذِي هُوَ لَهُ، فالله يعلم ما أخفى قلبه عند مسألته ودعائه[1].

❖ سادس عشر:

الفوائد من قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٩ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ٤٠ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ٤١﴾

فيها: أنَّ إبراهيم -عليه السلام- ذكر نعمتين:

الأولى: نعمة الولد.

والثانية: كونه رزقه بعد سن اليأس.

وفيها: إشراك الأولاد بالدعاء، والوالدين والمؤمنين.

وفيها: أنَّ إبراهيم -عليه السلام- دعا لأبيه قبل أن يتبيَّن أنَّ أَبَاهُ عَدُوٌّ للهِ، فلمَّا تبيَّنَ لَهُ ذلك تبرَّأ منه.

---

(١) تفسير الطبري (١٣/ ٧٠١).

وقيل: إنه يَعْنِي بوالديه هنا: آدمَ وحواء[١].

وقيل: إنَّهما كانا في الأحياء، فرَجَا إيمانهما[٢].

وفيها: في قوله تعالى: ﴿ دئا ئا ﴾ أنَّ الدعاء عبادة، كما في حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ**، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر: ٦٠]»[٣].

وفيها: في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ دلالة على كثرة إجابة الدعاء؛ لأنَّها صيغة بمثال المبالغة.

❖ سابع عشر:

الفوائد من قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ ﴾

---

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ١٦٥)، والتفسير البسيط (١٢/ ٤٦٧).

(٢) ينظر: التفسير البسيط (١٢/ ٤٦٨)، وباهر البرهان في معاني مشكلات القرآن (٢/ ٧٦٧).

(٣) رواه أحمد (١٨٣٨٦)، وأبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩)، والنسائي في الكبرى (١١٤٠٠).

فيها: «**تعزية للمظلوم ووعيد للظالم**» كما قال ميمون بن مَهْرَانَ[١].

وفيها: «**تعزيةٌ للمؤمنِ، ووعيدٌ للكافرِ**» كما قال ابن عيينة نقلا عن أهل العلم[٢].

وفيها: في قوله تعالى: ﴿ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ ﴾ شدة هول الظالمين يوم القيامة.

وفيها: في قوله تعالى: ﴿ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ ﴾ وصف الكفار أنَّهم يأتون مسرعين أو مُدِيمِي النَّظَرِ من شدَّة الهول، ﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ ﴾ أي: «رَافِعِي رؤوسِهِمْ» كما روي عَنْ مُجَاهِدٍ[٣]، ومثله قتادة[٤]، والحسن،

---

(١) أورده ابن أبي حاتم في التفسير (٧/ ٢٢٥١)، ورواه الخرائطي في مساوئ الأخلاق (٥٩٥).

(٢) رواه سعيد بن منصور في السنن (١١٩٠).

(٣) رواه ابن المبارك في الزهد (الملحق/ ١٠٤)، وابن جرير في التفسير (١٣/ ٧٠٨).

(٤) رواه عبد الرزاق في التفسير (١٤١٨).

والضحاك[١]، قال ابن قتيبة: «والمُقْنِع رأسه: الذي رفعه وأقبل بطرفه على ما بين يديه»[٢].

وقال ابن المبرد (٢٨٥هـ): «الذي يحط رأسه استخذاء وندماً؛ قال الله جل وعز: ﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾، ومن قال: (هو الرافع رأسه)؛ فتأويله عندنا: أن يتطاول فينظر، ثم يطأطئ رأسه، فهو بعد يرجع إلى الإغضاء والانكسار»[٣].

وفيها: في قوله تعالى: ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ أنَّ قلوب الكفار خاوية وجوفاء لا تعي شيئا من الخير. قال ابْنُ عَبَّاسٍ: «**لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ مِنَ الْخَيْرِ، فَهِيَ كَالْخَرِبَةِ**»[٤].

---

(١) رواه ابن جرير في التفسير (١٣/ ٧٠٨) (١٣/ ٧٠٩).

(٢) غريب القرآن (ص٢٣٣).

(٣) رواه ابن جرير في التفسير (١٣/ ٧٠٨) (١٣/ ٧٠٩).

(٤) رواه ابن جرير في التفسير (١٣/ ٧١١).

وقال مُرَّةُ الْهَمْدَانِيُّ: «**مُتَخَرِّقَةٌ لَا تَعِي شَيْئًا**»[١]، وقال ابْنُ زَيْدٍ: «**لَيْسَ فِيهَا عَقْلٌ وَلَا مَنْفَعَةٌ**»[٢].

وقيل إن معناها: «خَرَجَتْ مِنْ أَمَاكِنِهَا فَنَشَبَتْ بِالْحُلُوقِ»، روي عن أَبِي الضُّحَى مسلم بن صُبَيْحٍ أنه قَالَ: «**قَدْ بَلَغَتْ حَنَاجِرَهُمْ**»[٣]، وروي عن قتادة مثله[٤].

ولعلَّ الصواب في معناها: أنَّها خالية من الخير، قال ابن جرير: «وَأَوْلَى هَذِهِ الْأَقْوَالِ عِنْدِي بِالصَّوَابِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ قَوْلُ مَنْ قَالَ: مَعْنَاهُ: أَنَّهَا خَالِيَةٌ لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ مِنَ الْخَيْرِ، وَلَا تَعْقِلُ شَيْئًا، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ تُسَمِّي كُلَّ أَجْوَفَ خاوٍ: هَوَاءً، وَمِنْهُ قَوْلُ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ:

أَلَا أَبْلِغْ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي *** فَأَنْتَ مُجَوَّفٌ نَخِبٌ هَوَاءُ

وَمِنْهُ قَوْلُ الْآخَرِ:

---

(١) الكامل في اللغة والأدب (٣/ ٩١).

(٢) رواه ابن جرير في التفسير (١٣/ ٧١٢).

(٣) رواه ابن جرير في التفسير (١٣/ ٧١٢).

(٤) رواه ابن جرير في التفسير (١٣/ ٧١٣).

وَلَا تَكُ مِنْ أَخْدَانِ كُلِّ يَرَاعَةٍ *** هَوَاءٍ كَسَقْبِ الْبَانِ جَوْفٍ مَكَاسِرُهْ»[1].

❖ ثامن عشر:

الفوائد من قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوۡمَ يَأۡتِيهِمُ ٱلۡعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ نُّجِبۡ دَعۡوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ ٤٤ وَسَكَنتُمۡ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَتَبَيَّنَ لَكُمۡ كَيۡفَ فَعَلۡنَا بِهِمۡ وَضَرَبۡنَا لَكُمُ ٱلۡأَمۡثَالَ ٤٥ وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ ٤٦ ﴾.

فيها: قال محمد بن كعب: «لأهلِ النارِ خمسُ دَعَواتٍ، يُجِيبُهم اللهُ عَزَّ وجَلَّ في أربعٍ، فإذا كانتِ الخامسةُ لم يتكلَّموا بعدَها أبدًا:

يقولون: ﴿ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ١١ ﴾، فيُجيبُهمُ اللهُ سبحانَه: ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا

(١) التفسير (١٣/ ٧١٢).

دُعِىَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾ [غافر].

ثم يقولون: ﴿ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ١٢]، فيُجيبُهمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [السجدة: ١٤].

ثم يقولون: ﴿ رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ نُّجِبۡ دَعۡوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ ﴾ [إبراهيم: ٤٤] فيُجيبُهمُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿ أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ ﴾ [إبراهيم: ٤٤].

فيقولون: ﴿ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ ﴾ [فاطر: ٣٧]، فيُجيبهمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٖ﴾ [فاطر: ٣٧].

ثم يقولون: ﴿ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٠٦-١٠٧]،

فيُجيبُهمُ اللّهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، فلا يتكلَّمون بعدَها أبدًا »[١].

وفيها: في قوله تعالى: ﴿ وَسَكَنتُمۡ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَتَبَيَّنَ لَكُمۡ كَيۡفَ فَعَلۡنَا بِهِمۡ وَضَرَبۡنَا لَكُمُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴾ التحذير من الوقوع في الشرك بذكر الأمثال لحال الأمم السابقة الهالكة، والتحذير من سُكنى ديارهم والمُقام فيها، كما جاء في حديث ابن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- قَالَ لِأَصْحَابِ الْحِجْرِ: **لَا تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ، أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ**»[٢].

وفيها: في قوله تعالى: ﴿ وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ ﴿٤٦﴾ ﴾ أنَّ مكرهم في الشرك بالله وافترائهم عليه: كما روي عن أنس، وابن عباس[٣].

---

(١) رواه سعيد بن منصور في سننه (١٥٢٤)، والبيهقي في الأسماء (٤٨٢).

(٢) رواه البخاري (٤٧٠٢)، ومسلم (٢٩٨٠).

(٣) رواه ابن جرير في التفسير (١٣/ ٧٢١- ٧٢٢).

وفيها: في قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴾ قراءاتٌ:

فالجمهور على كسر اللام الأولى-وهي لام الجحود-وفتح اللام الثانية، فيكون معنى ﴿ لِتَزُولَ ﴾ (وما) أي: «ما كان مكرهم لِيزول به أمر النَّبيِّ ﷺ ودين الإسلام»؛ لأنَّ ثبوته كالجبال، على تهويته وضعفه: كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾ [النساء: ٧٦].

وأما قراءة الكسائي بِفَتْحِ اللَّامِ الْأُولَى-لام التوكيد-وَرَفْعِ الثَّانِيَةِ؛ فيكون المعنى على تعظيم مكرهم، كقوله تعالى: ﴿ وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ﴾ [نوح: ٢٢] (١).

وليس بينهما تعارض؛ لأنَّ مكر الشيطان وأوليائه له حالتان:

الأولى: في مقابل مكر الله فيكون ضعيفا واهيا، فينصر أولياءه ويُعزُّهم، ولا يجعل له سلطانا عليهم: كما قال تعالى ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [النحل: ٩٨-٩٩] وقوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ٧٩)، والمبسوط في القراءات العشر (ص٢٥٧)، والحجة للقراء السبعة (٥/ ٣٢)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣٠٠).

عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الحجر: ٣٩-٤٢].

أمَّا الحالة الثانية: فيكون عظيما إذا كان الواقع عليه غير مؤمنين، وكانوا من حزب الشيطان، فهؤلاء يزلهم ويغويهم ويسلط عليهم الشيطان.

وبهذا يزول الإشكال، فتحمل قراءة الجمهور على الحالة الأولى، والقراءة الثانية على الحالة الثانية -والله أعلم-.

وللفائدة جاءت «إن» في القرآن بمعنى «ما» في خمسة مواضع:

أَحَدُهَا: هَذَا.

الثَّانِي: في قوله تعالى: ﴿ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ﴾ [يونس: ٩٤].

الثَّالِثُ: في قوله تعالى: ﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٧] أَيْ: مَا كُنَّا.

الرَّابِعُ: في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [الزخرف: ٨١].

الْخَامِسُ: في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ ﴾ [الأحقاف: ٢٦]»[1].

❖ تاسع عشر:

الفوائد من قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾

فيها: تسلية النَّبيِّ ﷺ والمؤمنين، وأنَّ العاقبة للمتَّقين، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾.

وفيها: الوعيد الشديد لأعداء الرسل -عليهم السلام-.

وفيها: إثبات اسم «العزيز» وصفة العزَّة، والعزيز هو: المنيع الذي لا يُغلَب، وهو الذي له العزَّة كلها كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [يونس: ٦٥].

والعزَّة لها معان ثلاثة كلَّها كاملة لله العظيم، وهي:

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي (٩/ ٣٨٠).

- عزَّة القوة الدَّال عليها من أسمائه القوي المتين، وهي وصفه العظيم الذي لا تنسب إليه قوَّة المخلوقات وإن عظمت.

-وعزَّة الامتناع؛ فإنَّه هو الغني بذاته، فلا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العباد ضره فيضرونه، ولا نفعه فينفعونه، بل هو الضار النافع المعطي المانع.

-وعزة القهر والغلبة لكل الكائنات، فهي كلها مقهورة لله خاضعة لعظمته مُنْقادة لإرادته(١).

أمَّا اسم «المنتقم»: فليس من أسماء الله الحسنى الثابتة عن النَّبيِّ ﷺ، وإنَّما جاء في القرآن مقيَّدا كما في هذه الآية ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ وفي قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [السجدة: ٢٢](٢).

وفيها: أنَّ السماوات والأرض تُبدَّل وتغيَّر، وقد جاء فيها أحاديث وأقوال للعلماء، ومن ذلك:

---

(١) ينظر: شأن الدعاء للخطابي (ص١١٠-١١١)، وتفسير السعدي سورة يس.

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٩٦).

قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ۝١٠ ﴾ [الطور: ٩-١٠].

وقوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ۝١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۝١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ۝١٠٧ ﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧]، وغيرها من الآيات.

ومن الأحاديث:

حديث سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ -رضي الله عنه- قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ**»(١).

وحديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وفيه: قَالَ: «**يُجْمَعُ النَّاسُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ**»(٢).

وجاءت أقوال للسلف في ذلك، لكن الصواب أنَّها تبدل صفاتها كما هو الظاهر من الأدلة، قال ابن جرير: «وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٢١)، وصحيح مسلم (٢٧٩٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤٧١٢)، وصحيح مسلم (٢٧٩٠).

قَوْلُ مَنْ قَالَ: مَعْنَاهُ: يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ الَّتِي نَحْنُ عَلَيْهَا الْيَوْمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غَيْرَهَا، وَكَذَلِكَ السَّمَوَاتُ الْيَوْمَ تُبَدَّلُ غَيْرَهَا، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَجَائِزٌ أَنْ تَكُونَ الْمُبَدَّلَةُ أَرْضًا أُخْرَى مِنْ فِضَّةٍ، وَجَائِزٌ أَنْ تَكُونَ نَارًا، وَجَائِزٌ أَنْ تَكُونَ خُبْزًا، وَجَائِزٌ أَنْ تَكُونَ غَيْرَ ذَلِكَ، وَلَا خَبَرَ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ أَيُّ ذَلِكَ يَكُونُ، فَلَا قَوْلَ فِي ذَلِكَ يَصِحُّ إِلَّا مَا دَلَّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ التَّنْزِيلِ»[1].

وفيها: إثبات اسمي الله «الواحد» و«القهار»، وقد ورد الاسمان مقترنان في القرآن ست مرات: في الآية هنا، وفي سورة الرعد، ويوسف، و ص، والزمر، وغافر.

وفي السنة جاء الاسمان مقرونان في حديث عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ إِذَا بُدِّلَتِ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، أَيْنَ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «**النَّاسُ يَوْمَئِذٍ عَلَى الصِّرَاطِ**»[2].

---

(١) التفسير (١٣/ ٧٣٩).

(٢) رواه أحمد (٢٥٨٢٨) بسند صحيح.

وجاء عنها أيضا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ إِذَا تَضَوَّرَ -أَيْ: تَقَلَّبَ- مِنَ اللَّيْلِ قَالَ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ**»(١).

وجاء اسم «الواحد» من حديث مِحْجَن بْنِ الْأَدْرَعِ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، إِذَا رَجُلٌ قَدْ قَضَى صَلَاتَهُ، وَهُوَ يَتَشَهَّدُ، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا اللهُ، بِأَنَّكَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قَدْ غُفِرَ لَهُ ثَلَاثًا**»(٢).

وجاء أيضا من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ**»، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَقَالُوا: أَيُّنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: «**اللهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ الْقُرْآنِ**»(٣).

---

(١) رواه النسائي في الكبرى (٧٦٤١)، وصححه ابن حبان في صحيحه (٦٧٢٣)، والحاكم في المستدرك (١٩٨٠)، والألباني في الصحيحة (٢٠٦٦).

(٢) رواه النسائي (١٣٠١)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (١٢٣٤).

(٣) رواه البخاري (٥٠١٥).

❖ عشرين:

الفوائد من قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾

فيها: تفصيل لبعض أنواع العذاب للكفار يوم القيامة، وأنهم يصفَّدون في الأغلال، ويلبسون قُمُصا من قطران، أي: من مادة نحاسية شديدة الحرارة، ورائحتها نتنة، والنار تلفحهم من كل جهة.

وفيها: في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾:

يُحتمل أنَّه سريع، بمعنى: أنَّه يأتيهم وهم في غفلة، فيكونوا سريعا لهم كقوله تعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ ﴾ [الأنبياء: ١].

وَيُحْتَمَلُ أَنَّ معناه سريع الإحصاء كما ورد عن مجاهد، أي فِي حَالِ مُحَاسَبَتِهِ لِعَبْدِهِ سَرِيعُ النَّجاز؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ، وَإِنَّ جَمِيعَ الْخَلْقِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى قُدْرَتِهِ كَالْوَاحِدِ مِنْهُمْ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ مَّا

خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾ [لقمان: ٢٨].

وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَيَانِ مُرَادَيْنِ -وَاللهُ أَعْلَمُ-[1].

وفيها: في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾ أنَّ الله ختم بها السورة بعد هذه المواعظ المشتملة على الوعد والوعيد، والحكم البليغة، للتأكيد على ما سبق من أجل إقامة الحجة على الناس، وإنذارهم، ولذا كأن هذه الآية عنوان لكتاب الله -عز وجل-، وقد «سئل بَعْضُهُمْ هَلْ لِكِتَابِ اللهِ عُنْوَانٌ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: وَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿هَذَا بَلَغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ﴾ إِلَى آخِرِهَا»[2].

تمَّ الكتاب بحمد الله، وكان الفراغ منه في ليلة الثلاثاء السادس والعشرين من شهر ربيع الثاني لعام ألف وأربع مئة وستة وأربعين للهجرة، سائلًا الله القبول وأن ينفع به، وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمد وأله وصحبه.

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٥٢٣).

(٢) تفسير القرطبي (٩/ ٣٨٦).

المحتويات

المقدّمة ٢
فصل في التَّعريف بـ: «سورة إبراهيم» وموضوعاتها ٤
فصل فيما ورد في فضل «سورة إبراهيم» ٦
فصل في ذكر فوائد «سورة إبراهيم» ٨
- ❖ أوَّلا: ٨
- ❖ ثانيا: ١٢
- ❖ ثالثا: ١٣
- ❖ رابعا: ١٧
- ❖ خامسا: ٢٣
- ❖ سادسا: ٢٥
- ❖ سابعا: ٣٥
- ❖ ثامنا: ٣٦
- ❖ تاسعا: ٣٩
- ❖ عاشرا: ٤٢
- ❖ حادي عشر: ٤٥
- ❖ ثاني عشر: ٥٠
- ❖ ثالث عشر: ٥٢
- ❖ رابع عشر: ٥٤
- ❖ خامس عشر: ٥٧
- ❖ سادس عشر: ٦١
- ❖ سابع عشر: ٦٢
- ❖ ثامن عشر: ٦٦
- ❖ تاسع عشر: ٧١
- ❖ عشرين: ٧٦